[254] 3 - إننا نجده يرفض عرض قريش عليه التزويج بأي النساء شاء، في مقابل أن يلين في موقفه، ويخفف من مواجهته لالهتهم وعقائدهم. 4 - وملاحظة رابعة نضيفها وهي: أن نساءه (ص) كن على كثرتهن من قبائل شتى، لا تكاد تجد منهن اثنتين من قبيلة واحدة، إلا من اللواتي لم يدخل بهن. 5 - ثم إن جميع زوجاته باستثناء خديجة، إنما دخلن بيت الزوجية عنده حينما كان في المدينة المنورة، أي بعد أن تجاوز سن الخمسين، وبعضهن تزوجهن (ص) قبل وفاته بمدة قليلة. 6 - وأيضا، فإن هذا التعدد لم يشغل النبي (ص) عن واجباته، ولا أخرجه عن إتزانه، ولا طغى على وقته ونشاطه، وتاريخ حياته (ص) يشهد: بأنه (ص) لم يكن يهتم بهذه الامور، بل كان مثال العفاف والطهر البالغ، ولم يلوث نفسه بأي مما كانت الجاهلية تبيحه، وتشيع في مجتمعه ممارسته، ولم يستطع أحد من أعدائه أن يصمه بشئ من ذلك. 7 - وأخيرا، فإن ما يجب الالتفات إليه هو: أنه (ص) قد خير زوجاته بين الرضا بحياة التقشف معه، وبين الطلاق والفراق، فلو كان زواجه بهن بسبب طغيان الغريزة الجنسية لديه، لكان يجب أن يحتفظ بهن في جميع الاحوال، ولا يفرط بهن لمجرد حبه لحياة التقشف والزهد. فهل استيقظ فيه (ص) الشعور الجنسي في المدينة بالذات، وبعد شيخوخته، وفي أواخر عمره ؟ ! وهل استيقظ هذا الشعور على خصوص النساء اللواتي ترملن ؟ أو طلقهن أزواجهن ؟ !. أو هل أراد حقا أن يتذوق نساء القبائل المختلفة في الجزيرة العربية ؟ !.